

في العدد 12992 من جريدة عكاظ في 9/1/1423هـ مقال لصحفي جاهل بشرع الله عن أحوال المرأة في بلاد التوحيد والسنة، ولو كان لوالده العالم الرباني رحمه الله أن يتقلب في قبره لما قر له قرار حين يعلم أن أحد أبنائه ينقض غزله التريوي الشرعي وجهده لإقامة بيته وبيوت المسلمين في البلد الحرام مهبط الدوحى ومهد الرسالة على شرع الله تعالى وسنة نبيه ز.

وأى فرق بين الوالد - أحد كبار الدعاة إلى السنّة وخطباء المسجد الحرام - وبين الولد الذي ينقم على الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر وعلى رئاسة تعليم البنات (إعلاء أسوار المدارس)، ويعد الحجاب الشرعي الذي ميز الله به هذه البلاد وهذه الدولة المباركة - مع مميزات عظيمة أخرى كلها دينية - يعده: (عادات قديمة تبدو نشازاً في القرن العشرين) مصدرها: (المهوس الرجالي والنظرة القاصرة للمرأة وعقدة فرويد) ونتيجتها: (تعطيل نصف المجتمع أو إلغاؤه)، ولما يظهر له هدف إما إبراز اسمه بشذوذ فكره.

ويتجاوز الصحفي حدود مهنته وفكره؛ فيدخل في خلاف العلماء حول مشروعية الحجاب أو حدوده، ويأمل أن (ما حدث في نيويورك في منتدى (دافوس) دليل على السير في طريق الشفاء من عقدة المرأة) خاب أمه.

وسبب اهتمامه بما يسميه: (إعادة النظر في بعض هذه المسلمات والخروج من أسرها): الرغبة في (أن نسير بمحاذاة الحياة المعاصرة لنا أن نتخلف عنها)، والتخلف عن السير بمحاذاة الهاوية أمر من الشرع والعقل.

وعلماء الشريعة المعتد بهم اختلفوا في حكم تغطية الوجه والكفين، ولكنهم لم يختلفوا في حكم ترك المرأة وظيفتها الشرعية والطبيعية: رعاية بيتها وزوجها وأولادها للاشتراك في المؤتمرات العالمية أو المحلية والأعمال العامة فيما لا ضرورة له - وبخاصة في وقت يشكو الرجال - الذين وصفهم خالقهم بأنهم قوامون على النساء - يشكون البطالة.

وقد قال الله تعالى لقدوة النساء: (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) [الأحزاب: 33].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لنساء المؤمنات: "صلاتكن في دوركن خير من صلاتكن في مسجد الجماعة" [صحيح الترغيب والترهيب].

ومع أنه صلى الله عليه وسلم رخص للمرأة في الخروج إلى المسجد - رخصة لا عزيمة - ونهى عن منعها منه: فقد اشترط عدم التزيّن، وقال: "وبيوتهن خير لهن".

والذي يظن أن فرض الحجاب على المسلمة تعطيل أو إلغاء لوظيفتها في الحياة، فإنما أتى من ضلاله أو جهله بوظيفة المرأة التي اختارها الله لها وهي أنها لها؛ قال الله تعالى: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا) [الأعراف: 189]. ويعدل الله وحكمته ورحمته قسم بينهما وظائف الحياة: للرجل القوامة: (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعرضه على بعرض وبما أنفقوا من أموالهم) [النساء: 34]، ولما تتم القوامة إلا بعمل الرجل خارج بيته ضارباً في الأرض مبتغياً من فضل الله، وللمرأة الحمل والولادة والتربية وإعداد البيت ليكون كما وصفه الله [أسكننا صالحاً]. قال النبي صلى الله عليه وسلم: "... والمرأة راعية في بيتها وهي مسؤولة عن رعيته" [متفق عليه]، ولن تقوم بهذه المسؤولية العظيمة - وكفى بها وظيفة - إلا بعملها داخل البيت؛ فالحقيقة - شرعاً وعقلاً - أن الذين يشجعون المرأة على الخروج من بيتها (لتقوم بواجب العمل العام والتواصل بالعالم بالمؤتمرات الدولية) - كما قال الصحفي نفسه في مقال سابق - هم الذين يعطّلون وظيفتها الشرعية والطبيعية أو يلغونها، ويجنون على المرأة والزوج والولد والأمة والمدين والمسلمين.

ولم ير الصحابة رضي الله عنهم أن على المرأة - أو أن لها - مشاركة أتقى الرجال وأعفهم وأعلمهم في شورى السقيفة - مثلاً - لاختيار خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته، ولم ير عمر رضي الله عنه أن على المرأة - أو أن لها - أن تكون من بين من وكل إليهم اختيار الخليفة من بعده، وفي النساء - يومئذ - أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وأمثالها ممن هن أفضه في دين الله من أكثر الرجال.

أما قضية الحجاب فأمر آخر، ورغم الخلاف فيها فلم يقل أحد من العلماء المذكورين في المقال السابق أو اللاحق أنه يجوز للمرأة كشف وجهها عند خوف الفتنة، ولن يشك عاقل بأن احتمال الفتنة اليوم أكثر منه في عصر

النبوة عندما حذّر النبي صلى الله عليه وسلم من فتنة النساء، وأن احتمال الافتتان بكشف الوجه أكبر من احتمال الافتتان بكشف الركبة، الأمر الذي اتفقوا على تحريمه.

وقد استدل المصحفي بآية ليست في كتاب الله: (أفلا تدبرون)، في سياق يقتضي الاستشهاد بآية: (أفلا تتفكرون)، ولكن الله تعالى يقول: (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) [محمد: 24]، وكل ما في القرآن يهدي إلى شرع الله وفطرته التي فطر الناس عليها، وليس من المشرع ولما من الفطرة إخراج المرأة من أمن بيتها وإبعادها عن رعيّتها التي سيسألها الله عنها، ولم ي عرف ذلك في بلاد المسلمين قبل أن ينادي (قاسم أمين) تجاوز الله عنا وعنه بكشف وجه المرأة وكفائها بحجة الخلاف بين العلماء في حكمه، والنتيجة معروفة لمن تفكّر وتدبّر.

إن الله قد ميّز هذه البلاد وهذه الدولة المباركة بتأسيسها من أول يوم على الدعوة إلى الكتاب والسنة، وميّزها برأية التوحيد، وميّزها بتحكيم شرع الله، وميّزها بخدمة الحرمين وتطهيرهما من المحدثات والفتن والمشبهات والشهوات، على هذا تعاهد الإمامان محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود رحمهما الله، وعلى هذا قام ملك عبد العزيز رحمه الله وذريته من بعده ثبتهم الله بالمقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وبهذا ألهم الله لقيادة الأمام إلى الحق والعدل، ونزّههم عن اتباع كل ذاعق يحكم هواه أو هو غير غير (ممن لا خلاق لهم في الدنيا ولما في الآخرة) ويتنكب حكم الله، وهو يحسب أنه على هدى، قال الله تعالى: (إنهم اتخذوا المشيطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون) [الأعراف: 30].

رد الله الجميع إلى دنيه رداً جميلاً، وهداهم لأقرب من هذا رشداً.